Vo.# 16
Issue # 2
July -December
2026
Accepted
25th August.
2026
Published
01 .Nov.2026

مَجلّة العُلوم العَربيّة

مجلة علمية محكمة

HEC Approved "Y"

ISSNp
2520-4092

ISSNe
2518-962X

الخطابة النبوية بين الفصاحة والتأثير في الدعوة الإسلامية

Prophetic Oratory: Between Eloquence and Impact in Islamic Proselytization

Dr. Hüseyin Mohammed ELMHEMIT
Assistant Professor
Faculty of Theology
Hatay Mustafa Kemal University ,Turkey
Email: hud.kk51@gmail.com
ORCID: https://orcid.org/0000-0002-3630-5215

Abstract:

This research examines Prophetic oratory (al-khiṭābah al-nabawiyyah) as one of the most prominent forms of rhetorical discourse in the early Islamic era. It investigates how Prophet Muhammad (peace be upon him) utilized effective rhetoric to convey his message to the Muslim community, focusing on a pulpit style defined by conciseness (ījāz) and profound impact. Through an analysis of key Prophetic sermons, the study demonstrates how his discourse blended eloquence with accessibility, making the message easily comprehensible yet deeply influential. The findings reveal that Prophetic oratory functioned not merely as a medium of communication, but simultaneously as a pedagogical and evangelical instrument. The Prophet employed a clear and adaptable communicative strategy, enabling his message to resonate across a broad spectrum of listeners, including the unlettered. Furthermore, the paper explores how these sermons were imbued with wisdom aimed at guiding Muslims toward moral conduct and reinforcing Islamic values, thereby contributing to the consolidation of a cohesive society grounded in justice and mercy. Ultimately, this study highlights Prophetic oratory as a paramount example of functional rhetoric that successfully integrates stylistic eloquence

with communicative efficacy a legacy that continues to serve as a vital reference point in Arabic rhetorical studies.
Keywords: *Arabic Language and Rhetoric, Prophetic Eloquence, Functional Rhetoric, Prophetic Sermons, Impact in Islamic Dawah.*

الملخص:

يتناول هذا البحث دراسة الخطابة النبوية باعتبارها أحد أبرز ألوان الأدب البلاغي في العصر الإسلامي، وقد تم التركيز على كيفية استخدام النبي محمد ﷺ للبلاغة الفعّالة في إيصال رسالته إلى الأمة، مع التركيز على الأسلوب الخطابي الذي امتاز بالإيجاز والتأثير العميق من خلال تحليل أبرز خطب النبي ﷺ، تبين أن النبي كان يجمع بين القوة واللين، مما جعل رسالته سهلة الفهم وعميقة التأثير في نفوس المتلقين، كما أظهر البحث أن الخطابة النبوية لم تكن مجرد وسيلة للإعلام بل كانت أداة تربوية ودعوية في آن واحد، وقد كان النبي ﷺ يستخدم فيها أسلوباً يتسم بالوضوح والمرونة، مما سمح لها بأن تصل إلى شريحة واسعة من الناس، بما في ذلك الأمّيّين. بالإضافة إلى ذلك، تم تناول كيف أن هذه الخطب كانت تتسم بالحكمة وتهدف إلى إرشاد المسلمين إلى السلوك القويم، وتعزيز القيم الإسلامية، مما أسهم في بناء مجتمع إسلامي متماسك ومبني على مبادئ العدالة والرحمة، ويظهر البحث أن الخطابة النبوية تعد مثالاً بارزاً على البلاغة الفاعلة التي تجمع بين البلاغة والكفاءة في إيصال الرسالة، وتستمر تأثيراتها حتى اليوم باعتبارها مرجعاً مهمّاً في دراسة فنون الخطابة البلاغية في الأدب العربي.

الكلمات المفتاحية: اللغة العربية والبلاغة، الفصاحة النبوية، البلاغة الوظيفية، خطب النبي، التأثير في الدعوة.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد فتُعدّ الخطابة من أقدم وأهم وسائل التأثير في المجتمعات، إذ لعبت دورًا حيويًا في تشكيل الوعي، وتوجيه الفكر، ونقل القيم والمبادئ عبر العصور، فمنذ أقدم الأزمنة، كان الخطباء أصحاب التأثير الأكبر في الجماهير، سواء أكانوا قادة سياسيين، أم دُعاة دينيين، أم زعماء اجتماعيين، إذ كانت كلماتهم قادرة على تحريك العقول، وإثارة المشاعر، وحشد الطاقات نحو أهداف محددة.

فالخطابة ليست مجرد فن لغوي أو أسلوب بلاغي، بل هي أداة فعّالة في التأثير على القلوب والعقول، تُستخدم لنقل الأفكار العميقة، وتعزيز الفضائل، وتوجيه السلوكيات. فالكلمة المنطوقة تملك قوة لا

يستهان بها، إذ يمكن أن تحفّز الشعوب إلى النهوض والتغيير، كما يمكن أن تسهم في ترسيخ المبادئ والأخلاق التي تعزز التماسك الاجتماعي والاستقرار الثقافي والحضاري.

لقد كان للخطابة تأثير بالغ في مختلف ميادين الحياة، سواء في المجال السياسي، حيث اعتمد الزعماء على فصاحتهم لتحفيز الجماهير، أو في المجال الديني، حيث كان الأنبياء والدعاة يستخدمونها لتوجيه الأمم نحو العقيدة الصحيحة والقيم السامية. كما أن الخطابة لعبت دورًا محوريًا في نشر العلوم والفكر، إذ كان العلماء والمصلحون يوظفونها لنقل معارفهم وإقناع مستمعيهم بالحقائق والنظريات الجديدة.

إن قوة الخطابة تكمن في قدرتها على الجمع بين العقل والعاطفة، فهي تعتمد على قوة الحجة والمنطق من جهة، وعلى إثارة المشاعر والتحفيز النفسي من جهة أخرى، مما يجعلها أداة مزدوجة التأثير قادرة على إحداث تغيير جذري في السلوك والتوجهات الفكرية، ولهذا السبب، كانت الخطابة دائمًا من بين الوسائل الأساسية التي اعتمدتها القيادات السياسية والدينية والاجتماعية عبر التاريخ لتوجيه المجتمعات نحو الأهداف التي يرونها ضرورية للنهوض والاستقرار. وتتميز الخطابة بقدرتها الفائقة على التأثير النفسي والعاطفي، فهي لا تقتصر على عرض الحقائق والأفكار، بل تتغلغل في وجدان المستمع، مستندة إلى فنون البلاغة، والإلقاء، والتأثير الصوتي، والتفاعل مع الجمهور، مما يجعلها وسيلة تواصل قوية تتجاوز حدود الزمان والمكان. ومن هنا، كانت الخطابة إحدى الأدوات الأساسية التي اعتمدتها الدعوات الدينية لنشر رسائلها وإيصال مبادئها إلى أوسع نطاق من الناس.

وفي هذا السياق، تأتي الخطابة النبوية في الإسلام كواحدة من أسمى النماذج البلاغية والتأثيرية التي تركت أثرًا خالدًا في التاريخ الإنساني. فقد امتازت خطب النبي محمد ﷺ بالجمع بين الفصاحة العميقة والتأثير القوي، إذ كانت كلماته تنبع من قلب مخلص يحمل رسالة الهداية، مستخدمًا أساليب الإقناع، والتوجيه، والتحفيز التي جعلت دعوته تصل إلى القلوب قبل العقول، وتُحدث تحولًا جذريًا في حياة الأفراد والمجتمعات.

لكي تكون الخطابة فعالة في تحقيق أهدافها، فإنها تحتاج إلى مجموعة من الخصائص التي تجعلها أكثر تأثيرًا وإقناعًا، ومنها:

الفصاحة والبلاغة: حيث يعتمد الخطيب على حسن اختيار الألفاظ، وانتقاء العبارات القوية التي تُحدث التأثير المطلوب في المستمعين.

وضوح الرسالة: فالخطابة المؤثرة هي التي تقدم مضمونًا واضحًا ومفهومًا يسهل على الجمهور استيعابه والتفاعل معه.

الإلقاء المؤثر: إذ يُعتبر الصوت ونبرة الكلام من العوامل المهمة التي تزيد من قوة الخطاب، حيث يؤثر الإيقاع والتنغيم في إحساس المستمع ويزيد من تأثره بالمحتوى.

القدرة على الإقناع: حيث تعتمد الخطابة على استخدام الحجج العقلية والبراهين المقنعة التي تدعم الأفكار المطروحة.

لقد كانت خطب النبي ﷺ مثالًا في إيصال المعاني بأبسط العبارات وأكثرها عمقًا، فكان يخاطب الناس بلسانهم، ويستخدم التشبيهات والصور البيانية التي تجعل المفاهيم أكثر وضوحًا وتأثيرًا، وكان يستشهد بالواقع والقصص لتوضيح المقاصد. كما كان يختار الوقت والموقف المناسب لإلقاء خطبه، مما جعل لها أثرًا عميقًا في نفوس المستمعين. إن دراسة الخطابة النبوية بين الفصاحة والتأثير في الدعوة الإسلامية تكشف عن أبعاد عميقة في فن الخطابة، ليس فقط باعتبارها أداة للتواصل، بل كوسيلة فعالة في التغيير الاجتماعي، وبناء القيم، وتعزيز الإيمان، مما يجعلها نموذجًا خالدًا يُحتذى به في كل عصر وزمان.

أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى دراسة الخطابة النبوية من حيث عناصرها البلاغية وأثرها في تشكيل الوعي الديني والاجتماعي لدى الأفراد والمجتمعات، وذلك من خلال تحليل الأساليب الخطابية التي استخدمها النبي محمد ﷺ وتأثيرها في مستمعيه، فمن أبرز الأهداف التي يسعى البحث إلى تحقيقها تحليل عناصر الفصاحة التي تميزت بها الخطب النبوية، والتي جمعت بين وضوح المعاني، وسلاسة الألفاظ، وقوة التأثير. ويُعنى البحث بتحديد الخصائص اللغوية والبيانية التي جعلت الخطاب النبوي نموذجًا بليغًا قادرًا على إيصال الرسالة بفعالية وإقناع.

إضافة إلى ذلك، يهدف البحث إلى إبراز مكانة الخطابة النبوية في بناء الأمة الإسلامية، حيث كانت هذه الخطب وسيلة توجيهية وتعليمية أساسية استخدمها النبي ﷺ في ترسيخ القيم الإسلامية، وتعزيز روح الوحدة بين المسلمين، وإرساء الأسس التي قامت عليها الدولة الإسلامية. فقد كانت الخطابة أداة قوية في توجيه المجتمع المسلم نحو المبادئ الأخلاقية والشرعية، مما جعلها ركيزة مهمة في التوجيه الديني والسياسي والاجتماعي.

منهج البحث

فيعتمد على التحليل الخطابي البلاغي، حيث يتم دراسة الخطب النبوية من منظور بلاغي يبرز أساليب التأثير والإقناع فيها، من خلال تحليل التراكيب اللغوية والصور البيانية والحجج الخطابية التي اعتمدها

النبي ﷺ. كما يستفيد البحث من المنهج الوصفي، الذي يسعى إلى تقديم صورة دقيقة للخطابة النبوية من خلال وصف خصائصها اللغوية والأسلوبية، بالإضافة إلى المنهج التحليلي، الذي يُستخدم في دراسة نصوص الخطب واستخلاص دلالاتها ومقاصدها، وربطها بسياقاتها التاريخية والاجتماعية. ومن خلال هذا المزج بين المناهج، يسعى البحث إلى تقديم رؤية شاملة لبلاغة الخطاب النبوي ودوره في التأثير والتوجيه.

عناصر الفصاحة في الخطابة النبوية

كانت سلامة اللغة سمة بارزة في الخطاب النبوي بشكل عام، حيث جاء خطابه ﷺ وفق القواعد النحوية الصحيحة، دون أي لحن أو ضعف، وكان خاليًا من التعقيد اللفظي الذي قد يعيق فهم المعنى. وهو من أهم شروط الفصاحة كما حددها البلاغيون،[1] وقد شهد أهل الفصاحة للنبي ﷺ بأنه أفصح من نطق بالعربية، فهو "أفصح الناس لهجة وأتمهم بلاغة"[2] ولم تكن هذه الفصاحة مجرد قدرة لغوية، بل كانت وسيلة فعالة في إيصال رسالة الإسلام بأسلوب يحقق الإقناع والتأثير.

1. وضوح الألفاظ وسلامة اللغة

اتسمت الخطابة النبوية بوضوح الألفاظ وسلامة اللغة، مما جعلها تصل إلى قلوب المستمعين وعقولهم دون عناء. فقد كان النبي ﷺ أفصح العرب، وكانت خطبه نموذجًا راقيًا في البيان، حيث تجنبت التعقيد والغموض، وجاءت ألفاظها واضحة سهلة، لا تحتاج إلى تفسير معقد، مما جعلها تؤدي دورها التوجيهي والتعليمي بفاعلية. فالمخاطبون لم يكونوا جميعًا من أهل الفصاحة، بل تنوعت مستوياتهم اللغوية، وكان لا بد أن يكون الخطاب مفهومًا لكل فئات المجتمع، ليحقق التأثير المطلوب في نشر الدعوة الإسلامية وترسيخ مبادئها.

وقد ظهر وضوح الألفاظ في الخطب النبوية في عدة جوانب، منها انتقاء الكلمات التي تحمل المعنى المقصود دون تكلف أو إبهام، فجاءت ألفاظه ﷺ مباشرة وموجزة، لكنها غنية بالدلالات. ومن الأمثلة على ذلك خطبته في حجة الوداع، حيث قال: "إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم

---

[1] عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي، سر الفصاحة (بيروت: دار الكتب العلمية،1982)، 59؛ يحى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (بيروت: المكتبة العصرية، 1423)، 57/1.

[2] عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، قوت المغتذي على جامع الترمذي، رسالة دكتوراه في جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين،: ناصر بن محمد بن حامد الغريبي، 1424، 743/2.

كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا"[1] هذه الكلمات القليلة عبّرت عن مبدأ عظيم في الإســـلام، وهو حرمة الاعتداء على الدماء والأموال والأعراض، فجاء الخطاب واضـــحًا لا يحتمل التأويل، وسهلًا يفهمه الجميع، مع استخدام التكرار والتوكيد لترسيخ المعنى في أذهان المستمعين.

ومن الشـواهد التي تدل على وضـوح الألفاظ وسـلامة اللغة في الخطابة النبوية، ما ورد في خطبته بعد غزوة بدر حين قال: "أما بعد فإني أحثكم على ما حثكم الله عليه وأنهاكم عما نهاكم عنه فإن الله عظيم شأنه يأمر بالحث ويحب الصدق، ....وإنكم قد أصبحتم بمنزل الحق لا يقبل الله فيه من أحد إلا ما ابتغى وجهه، وإن الصـــبر في مواطن البأس مما يفرج به الهم"[2] جاءت هذه الخطبة قصـــيرة لكنها جامعة، حيث استخدم النبي ﷺ كلمات واضحة ومباشرة في الحث على الصبر والإخلاص في موقعة بدر التي لم يكن قد خطط لها أحد.

وقد كان النبي ﷺ يحرص في خطبه على استخدام التراكيب التي تتسم بالسلاسة والاتساق، مما يسهل على المستمعين استيعابها، ومن ذلك ما جاء في خطبته عند استقبال رمضان، حيث قال: "قد أظلكم شـهر عظيم، شـهر مبارك فيه ليلة خير من ألف شـهر فرض الله صـيامه وجعل قيام ليله تطوعا، فمن تطوع فيه بخصـلة من الخير كان كمن أدى فريضـة فيما سـواه، ومن أدى فيه فريضـة كان كمن أدى سبعين فريضة، وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة، وهو شهر المواساة، وهو شهر يزاد رزق المؤمن فيه".[3] فالجملة متناسـقة، وتكرار كلمة "شـهر" مع الوصـف بصـفات التعظيم والترغيب يزيد من قوة التأثير، ويجعل المعنى أكثر وضوحًا وثباتًا في الأذهان.

إن وضوح الألفاظ وسلامة اللغة في الخطابة النبوية لم يكن مجرد جانب فني، بل كان ضرورة دعوية، إذ أن الخطابة أداة أساسية في نشر الإسلام وتعليم أحكامه، وكان لا بد أن يكون الخطاب ميسرًا يفهمه الجميع، دون أن يخل ذلك ببلاغته وجماله. فقد جاءت الخطب النبوية بلغة رفيعة خالية من التكلف، واستطاعت أن تؤثر في أوسع شريحة من الناس، من الفصحاء والشعراء إلى البسطاء والعامة، مما جعلها نموذجًا خالدًا في فن الخطابة والبيان.

2. الإيجاز والتكثيف في التعبير

---

[1] محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، صحيح البخاري، تح. محمد زهير بن ناصر الناصر (بيروت: دار طوق النجاة، مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، 1422)، 24/1.

[2] محمد خليل الخطيب، خطب الرسول صلى الله عليه وسلم (القاهرة: دار الفضيلة، 1373)، 10.

[3] نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان بن أبي بكر الهيثمي، بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، تح. حسين أحمد صالح الباكري (المدينة المنورة: مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، 1992)، 412/1.

اتســـمت الخطابة النبوية بالإيجاز والتكثيف في التعبير، حيث كان النبي ﷺ يختار ألفاظه بعناية فائقة، فتعبر عن معانٍ كثيرة في كلمات قليلة، مما يجعلها أكثر تأثيرًا وســـهولة في الحفظ والفهم. وقد ورد في وصــفه ﷺ أنه أوتي "جوامع الكلم"[1] أي أنه كان يعبر عن المعاني الكبيرة بألفاظ موجزة دون أن تفقد وضوحها أو عمقها. وكان الإيجاز في خطبه يساعد على ترسيخ المعاني في أذهان المستمعين دون إملال أو إطالة لا ضرورة لها، مما يزيد من فاعلية الخطاب وتأثيره.

من الأمثلة البارزة على الإيجاز في الخطابة النبوية خطبته في غزوة بدر، حيث قال: "قوموا إلى جنة عرضــها الســماوات والأرض".[2] هذه العبارة رغم قصــرها، إلا أنها تحمل معاني عظيمة، فقد اســتدعت صــورة الجنة الواســعة وشــحذت همم الصــحابة للقتال، مســتخدمة تعبيرًا موجزًا لكنه في غاية القوة والتأثير.

ومن الأمثلة على الإيجاز قوله صــلى الله عليه وســلم في أحد خطبة: "من كثر كلامه كثر ســقطه، ومن كثر ســقطه كثرت خطاياه، ومن كثرت خطاياه كانت النار أولى به".[3] فقد عبّر النبي على ســوء كثيرة الكلام بعبارات موجزة تكاد تكون مثلاً بين الناس، مع ترتيب منطقي أوصـــل المراد بغاية من الدقة والجمال.

3. جمال التصوير والتشبيهات البلاغية

تميزت الخطابة النبوية بجمال التصــوير واســتخدام التشــبيهات البلاغية التي تقرب المعاني إلى أذهان المســتمعين، وتجعل الخطاب أكثر حيوية وتأثيرًا. كان النبي ﷺ يوظف التشــبيه والاســتعارة بشــكل يثير الخيال ويجســـد الأفكار بأســـلوب جذاب، مما يســـهم في تحقيق التفاعل العاطفي مع الخطاب ويجعل المعاني أكثر ترسخًا في النفوس.

من أروع الأمثلة على ذلك خطبته ﷺ التي حذر فيها أمته من الفتن، فقال: "إن بين يدي الساعة فتنًا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمنًا ويمسي كافرًا، ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع أحدهم دينه بعرض من الدنيا قليل"[4] في هذا الخطاب استخدم النبي ﷺ تشبيهًا بليغًا، حيث شبّه الفتن بظلام

---

[1] عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني، المصنف، تح. حبيب الرحمن الأعظمي (بيروت: المكتب الإسلامي، 1403)، 112/6.

[2] أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تح. شعيب الأرنؤوط ، عادل مرشد (بيروت: مؤسسة الرسالة، 2001)، 389/19.

[3] محمد خليل الخطيب، خطب الرسول صلى الله عليه وسلم، 151.

[4] نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزاعي المروزي، كتاب الفتن، تح. سمير أمين الزهيري (القاهرة: مكتبة التوحيد، 1412)، 31/1.

الليل، الذي يحجب الرؤية ويجعل الإنسان تائهًا متخبطًا، وهذا التصوير القوي يجعل المستمع يدرك خطورة الفتن وتأثيرها على الإيمان.

ومن الأمثلة التي يمكن أن نذكرها هنا قوله صلى الله عليه وسلم في أحد خطبه : "أيها الناس إن الأيام تطوى والأعمار تفنى والأبدان في الثرى تبلى وإن الليل والنهار يتراكضان، ويقربان كل بعيد ويخلقان كل جديد"[1] في هذه الخطبة النبوية، استخدم النبي ﷺ جمال التصوير والتشبيه البلاغي بأسلوب بديع يجسد حقائق الحياة بطريقة مؤثرة تترك أثرًا عميقًا في النفوس.

بدأ النبي ﷺ بقوله: "أيها الناس إن الأيام تُطوى"، وهنا استخدم صورة حسية معبرة، حيث شبّه الأيام بصفحات كتاب تُطوى واحدة بعد الأخرى، مما يعكس سرعة انقضاء الزمن وعدم قدرة الإنسان على إيقافه. ثم أكمل "والأعمار تفنى"، وهي عبارة تصور العمر وكأنه شيء قابل للاضمحلال، مما يعزز الإحساس بحتمية الفناء. أما قوله "والأبدان في الثرى تبلى"، فقد استخدم فيه صورة حسية أخرى، حيث صوّر الأجساد وهي تذوب في التراب، مما يذكّر المستمعين بحقيقة الموت والمآل الحتمي لكل إنسان، فيدفعهم ذلك إلى العمل الصالح. ثم انتقل إلى صورة أخرى بقوله "وإن الليل والنهار يتراكضان"، حيث شبّه تعاقب الليل والنهار بشيئين يركضان، مما يدل على تسارع الزمن وعدم توقفه.

أساليب الإقناع والتأثير في الخطابة النبوية

تميزت الخطابة النبوية بتنوع الأساليب الخطابية التي جعلتها أكثر تأثيرًا وإقناعًا، فقد استخدم النبي ﷺ الترغيب والترهيب لتحفيز النفوس معتمداً على التكرار والتوكيد لضمان رسوخ المعاني، وضرب الأمثال والتشبيهات لتوضيح المفاهيم. كما استخدم كثيراً أسلوب الاستفهام، وكذلك أسلوب القصص لإرسال رسائل معينة ترسخ في النفوس من خلال تلك القصص، كل هذه الأساليب جعلت خطبه تصل بعمق إلى المستمعين، فتؤثر في عقولهم وقلوبهم، وتحقق هدفها الدعوي والتوجيهي بفاعلية.

2. 1. أسلوب الترغيب والترهيب.

اعتمد النبي ﷺ في خطبه على أسلوبي الترغيب والترهيب كوسيلتين فاعلتين في التأثير على النفوس وتحفيزها نحو الخير، وردعها عن الشر.

في أسلوب الترغيب، كان النبي ﷺ يشجع الناس على الأعمال الصالحة بذكر الجزاء العظيم والثواب الكريم، مما يغرس في قلوبهم الأمل والشوق إلى رضا الله. ففي قوله: "يا أيها الناس اسمعوا واعقلوا

[1] محمد بن محمد ابن الوليد الفهري الطرطوشي المالكي، سراج الملوك (القاهرة: أوائل المطبوعات العربية،1872)، 52.

واعلموا أن لله عز وجل عبادًا ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء"[1]، استخدم التكرار (اسمعوا، اعقلوا، اعلموا) لجذب انتباه المستمعين وترسيخ المعنى في أذهانهم، ثم قدّم وعدًا بمقام رفيع يناله عباد مخصوصون، حتى إن الأنبياء والشهداء يغبطونهم، مما يجعل المستمع يتطلع لنيل هذه المكانة من خلال الاجتهاد في الطاعة. ومن الأمثلة الأخرى على هذا الأسلوب قوله ﷺ في أحد خطبه: "إذا دخل أهل الجنة الجنة ينادي مناد إن لكن أن تحيوا فلا تموتوا أبداً، وإن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً".[2] في هذا الخطبة نرى كيف يحفّز النبي ﷺ المستمعين على الطاعات ودخول الجنة من خلال استحضار الأمور التي تكدر الناس في الدنيا، فلا مرض ولا موت ولا هرم.

أما أسلوب الترهيب، فقد استخدمه النبي ﷺ للتحذير من عواقب التقصير في الحقوق والمعاصي، مما يبعث الخوف في القلوب ويمنعها من التهاون. ففي قوله: "ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه"[3]، نجد تصويرًا مروعًا لعقوبة البخل في أداء الحقوق، حيث استخدم النبي ﷺ الوصف الدقيق "صفائح من نار، فيكوى بها جنبه" ليجعل المستمع يستشعر شدة العذاب، فيرتدع عن التقصير.

بهذا المزج بين الترغيب والترهيب، كانت خطب النبي ﷺ تجمع بين التحفيز والردع، فتأسر القلوب وتوجه السامعين إلى طريق الصواب بأسلوب بليغ يجمع بين الوعد والوعيد، مما يجعلها في قمة التأثير والإقناع

.2. 2. أسلوب ضرب الأمثال

كان النبي صلى الله عليه وسلم يستخدم أسلوب ضرب الأمثال في خطبه لتوضيح المعاني المجردة وتقريبها إلى أذهان المستمعين بأسلوب بليغ ومؤثر. فالأمثال تضفي على الخطاب قوة تصويرية تجعل المفاهيم أكثر وضوحًا وثباتًا في النفوس، حيث يتم ربط الفكرة بمشهد واقعي يمكن للسامع تصوره بسهولة.

في المثال الأول، عندما صعد النبي صلى الله عليه وسلم على رَضْمَةٍ من جبل، خاطب قريشًا قائلًا: "إنما مثلي ومثلكم كمثل رجل خاف العدو فانطلق يربأ أهله، فخاف أن يسبقه العدو، فجعل يهتف:

---

[1] أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، 541/37.

[2] مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تح. محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت) 2182/4؛ وانظر. محمد خليل الخطيب، خطب الرسول صلى الله عليه وسلم، 303.

[3] محمد خليل الخطيب، خطب الرسول صلى الله عليه وسلم، 54.

يا صباحاه!"[1] هنا ضرب النبي صلى الله عليه وسلم مثلًا لنفسه كرجل ينذر قومه من خطر داهم، كما كان العرب يرسلون من يحذر القوم من قدوم العدو فيصرخ: "يا صباحاه!" لتنبيههم إلى الخطر. بهذا التصوير، أوضح النبي دوره كنذير، محذرًا قومه من عواقب عدم الاستجابة لدعوته، مما جعل تحذيره أكثر وقعًا في قلوبهم.

أما في المثال الثاني، فقد خطب النبي صلى الله عليه وسلم يوم تبوك، قائلًا: "ما في الناس مثل رجل آخذ بعنان فرسه، فيجاهد في سبيل الله، ويجتنب شرور الناس." في هذا المثل، رسم النبي صلى الله عليه وسلم صورة مجاهد مخلص متمسك بعنان فرسه، يجاهد في سبيل الله بعيدًا عن الفتن، ليُبرز بذلك النموذج المثالي للمؤمن المجاهد، مركزًا على التضحية والإخلاص في سبيل الله.

في كلا المثالين، استخدم النبي صلى الله عليه وسلم مشاهد حية مألوفة عند العرب، مما جعل خطبه أكثر تأثيرًا وإقناعًا، إذ لم تكن مجرد كلمات نظرية، بل كانت صورًا نابضة بالحياة، تترسخ في أذهان السامعين وتحرك مشاعرهم.

2. 3. أسلوب الاستفهام

فمن أشهر الأمثلة على أسلوب الاستفهام قوله صلى الله عليه وسلم في خطبة حجة الوداع حيث قال: "أي يوم هذا؟" فقالوا: "الله ورسوله أعلم. "فسكت حتى ظنوا أنه سيسميه بغير اسمه، فقال: "أليس يوم النحر؟" قالوا: "بلى." ثم قال: "أي شهر هذا؟" قالوا: "الله ورسوله أعلم. "فسكت حتى ظنوا أنه سيسميه بغير اسمه، فقال: " أليس ذو الحجة؟" قالوا: "بلى." ثم قال: "أي بلد هذا؟" قالوا: "الله ورسوله أعلم." فسكت حتى ظنوا أنه سيسميه بغير اسمه، فقال: "أليس البلدة الحرام؟" قالوا: "بلى." ثم قال: "فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا."[2] في هذا الخطاب، استخدم النبي صلى الله عليه وسلم الاستفهام التقريري، وهو الذي يهدف إلى جعل المخاطب يُقرّ بحقيقة معروفة لديه بدلاً من تقديمها مباشرة. هذه الطريقة تجعل السامع أكثر تفاعلاً، إذ ينتقل من مجرد مستمع إلى مشارك في بناء المعنى.

كما أن سكوت النبي بعد كل سؤال زاد من التشويق وشدّ انتباه السامعين، حيث ظنوا أنه سيسمي الأشياء بغير أسمائها، مما جعلهم يركزون أكثر على الإجابة. بعد أن أقرّ الصحابة بحرمة الزمان والمكان،

---

[1] عبد الله بن محمد بن إبراهيم أبو بكر بن أبي شيبة، مسند ابن أبي شيبة، تح. عادل بن يوسف العزازي و أحمد بن فريد المزيدي (الرياض: دار الوطن، 1997)، 371/2.

[2] محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، 176/2.

استخدم النبي هذا الإقرار لترسيخ فكرة حرمة الدماء والأموال والأعراض، فجعلها مساوية في القدسية لحرمة هذه الأوقات والأماكن المقدسة. هذا الأسلوب أضفى على الخطبة قوةً بلاغية جعلتها محفورة في أذهان الصحابة، وجعل مضمونها أكثر تأثيرًا واستدامة. وكذلك في خطبته عند موت إبراهيم في هذا المثال، استخدم النبي صلى الله عليه وسلم أسلوب الاستفهام التقريري، وهو الاستفهام الذي لا يُراد به طلب المعرفة، وإنما يُراد به حمل السامعين على الإقرار بحقيقة معينة. قال النبي صلى الله عليه وسلم: "أنشدكم بالله إن كنتم تعلمون أني قصرت عن شيء من تبليغ رسالات ربي لما أخبرتموني ذاك؟"[1]، وهذا السؤال لم يكن لطلب الإجابة، بل لإلزام المخاطبين بالإقرار بحقيقة واضحة، وهي أنه أدى رسالته كاملة ولم يُقصِّر في تبليغ دعوة الله. جاءت إجابة الصحابة تأكيدًا لهذه الحقيقة، حيث قالوا: "نشهد أنك قد بلغت رسالات ربك، ونصحت لأمتك، وقضيت الذي عليك." وهذا يدل على أن الهدف من السؤال لم يكن التشكيك، بل التأكيد وتعزيز اليقين في نفوس المستمعين.

يتجلى في هذا المثال الأثر القوي للاستفهام التقريري في الخطابة النبوية، حيث يجبر السامع على التفكير في الإجابة والتفاعل معها، مما يجعله أكثر تأثرًا بالمضمون. كما أن تكرار النبي لهذا السؤال بأسلوب القسم "أنشدكم بالله" زاد من تأثيره وجعل الإجابة أكثر قوة ووضوحًا.

تأثير الخطابة النبوية في الدعوة الإسلامية

2. 1. التأثير النفسي و الإقناعي في المستمعين

كانت الخطابة النبوية أداة قوية في التأثير على النفوس وإقناع العقول، حيث استخدم النبي صلى الله عليه وسلم أساليب بلاغية مؤثرة، مثل الاستفهام، وضرب الأمثال، والتكرار، والترغيب والترهيب. كان لهذه الخطابة أثر عميق في تغيير قناعات السامعين، ودفعهم إلى الإيمان والاستجابة للدعوة.

من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم في إحدى خطبه: "أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة."[2] هذا الخطاب المؤثر يرسّخ في أذهان المستمعين أهمية اتباع السنة والتحذير من الابتداع، بأسلوب موجز وواضح يترك أثرًا قويًا في النفس.

كما يظهر التأثير النفسي العميق في خطبته عند الكسوف، حيث قال: "إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى الصلاة."[3]هنا استخدم

[1] أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، 346/33.

[2] أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، 234/23.

[3] مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي، الموطأ، تح. محمد مصطفى الأعظمي (أبو ظبي: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، 2004)، 259/2.

النبي صلى الله عليه وسلم الخطابة لتهدئة النفوس وإزالة المعتقدات الجاهلية التي تربط الظواهر الكونية بحياة البشر أو موتهم، مما جعل السامعين يدركون الحقيقة بعقلانية وطمأنينة.

وتُعد خطبة حجة الوداع من أعظم الخطب التي ألقاها النبي ﷺ، والتي برز فيها التأثير الواضح على الصحابة، فقد بدأ خطبته صلى الله عليه وسلم بالنداء العاطفي"أيها الناس"، مما جعل الجميع يشعر بأنه يخاطبهم مباشرة، ثم لجأ إلى التكرار للتأكيد بقوله:"ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد"، لترسيخ كلماته في النفوس. كما اعتمد على التأثير العاطفي حينما قال: "إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا"،[1] مما جعلهم يدركون خطورة الظلم والاعتداء. ولم يقتصر على العاطفة فقط، بل استخدم المنطق والاستدلال العقلي بعبارته الشهيرة"كلكم لآدم وآدم من تراب"، ليؤكد مبدأ المساواة بين الناس. كان تأثير الخطبة عميقًا، حتى أن الصحابة بُهِتوا وبكى بعضهم، مدركين أن النبي ﷺ يودّعهم، وهذا يعكس القوة النفسية لكلماته وبلاغته التي جمعت بين الإقناع العقلي والتأثير العاطفي في آنٍ واحد.

كذلك بعد غزوة حنين شعر بعض الأنصار بالحزن بسبب توزيع الغنائم، فخطب النبي ﷺ فيهم بأسلوب إقناعي ونفسي بليغ، بدأه بأسئلة استفهامية مؤثرة قائلاً: "يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضُلالًا فهداكم الله بي؟ وكنتم متفرقين فألّفكم الله بي؟ وكنتم فقراء فأغناكم الله بي؟"[2] محركًا بذلك مشاعرهم وذاكرتهم تجاه فضل الله عليهم ببركته. ثم لجأ إلى الاعتراف بفضلهم ورفع مكانتهم بقوله: "أما ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وتذهبون برسول الله إلى رحالكم؟"[3]، مما جعلهم يدركون أن قربهم من النبي ﷺ أعظم من أي غنيمة. ولم يكتفِ بذلك بل استخدم التأثير العاطفي العميق حينما قال: "والله لو سلك الناس واديًا أو شعبًا، لسلكت وادي الأنصار، ولولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار"[4]، فبلغ التأثير مداه، وبكى الصحابة حتى بلّلت دموعهم لحاهم. وهكذا استطاع النبي ﷺ بأسلوبه الإقناعي والنفسي تهدئة نفوسهم، وتحويل حزنهم إلى رضا وسعادة، مما يعكس عبقريته في التأثير على القلوب والعقول في آنٍ واحد.

---

[1] أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، 301/31.

[2] عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان أبو بكر بن أبي شيبة, الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار (الرياض: مكتبة الرشد, 1409), 420/7.

[3] بن أبي شيبة, الكتاب المصنف، 418/7.

[4] سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصري، مسند أبي داود الطيالسي، تحقيق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، (القاهرة: دار هجر، 1999)، 227/4.

2. 2. دور الخطابة في نشر القيم الدينية

ساهمت الخطابة النبوية في ترسيخ القيم الإسلامية وتعليم المسلمين أحكام دينهم بأسلوب بليغ ومباشر. فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب في أصحابه ليحثهم على مكارم الأخلاق، مثل الصدق والأمانة والرحمة، محذرًا في الوقت نفسه من الرذائل.

في خطبة الوداع، أكد النبي صلى الله عليه وسلم على أهم القيم التي يقوم عليها المجتمع الإسلامي، فقال: "أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى."[1]. في هذه الكلمات، وضع النبي صلى الله عليه وسلم مبدأ المساواة والتقوى كأساس للتفاضل بين الناس، وهو مبدأ كان له أثر كبير في بناء مجتمع متماسك يقوم على العدل والإنصاف.

كما كان للخطابة دور في غرس معاني الرحمة والتراحم، فقد خطب النبي في المسلمين قائلًا: "الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء."[2] بهذه العبارات الموجزة، رسّخ النبي مبدأ الرحمة كأساس للعلاقات الإنسانية، مما جعل المسلمين يتبنون هذا الخلق العظيم في تعاملاتهم.

2. 3. الأثر الاجتماعي والسياسي للخطابة النبوية

لم تكن الخطابة النبوية وسيلة دعوية فحسب، بل كان لها أثر اجتماعي وسياسي واضح في توجيه الأمة وإرساء مبادئ الحكم والإدارة. فقد استخدم النبي صلى الله عليه وسلم الخطابة في أوقات السلم والحرب، لحشد الأمة وتوجيهها نحو القضايا المصيرية.

من ذلك خطبته في غزوة تبوك، حين قال: "من جهز جيش العسرة غفر الله له"[3] فكان لهذه الخطبة أثر بالغ في دفع الصحابة إلى التبرع وتجهيز الجيش، مما يعكس الدور السياسي للخطابة في تحفيز المجتمع وتعبئته.

كما استخدم النبي صلى الله عليه وسلم الخطابة في معالجة المشكلات الاجتماعية، كما جاء في خطبته بعد حادثة الإفك، حيث قال: "يا معشر المسلمين، من يعذرني في رجل قد بلغني أذاه في أهلي؟"[4]

---

[1] محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، 176/2.

[2] محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك الترمذي، سنن الترمذي، تح. بشار عواد معروف (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1998)، 388/3.

[3] الطيالسي ، مسند أبي داود الطيالسي، 80/1.

[4] صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيكلدي، التنبيهات المجملة على المواضع المشكلة، تح. مرزوق بن هياس آل مرزوق الوهراني (المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، 1408)، 60.

بهذه الخطبة، واجه النبي صلى الله عليه وسلم المشكلة بحكمة، وأثار مسؤولية الجماعة في حماية القيم والأخلاق، مما أدى إلى توعية المجتمع بخطورة الإشاعات والافتراءات.

لقد كانت الخطابة النبوية إذن أداة قوية في التأثير النفسي و الإقناعي، ونشر القيم الدينية، والتأثير في الحياة الاجتماعية والسياسية، مما جعلها أحد أهم وسائل التوجيه والإصلاح في المجتمع الإسلامي.

الخاتمة

من خلال هذا البحث، يتضح لنا أن الخطابة النبوية كانت أداة بلاغية مهمة في بناء المجتمع الإسلامي وتعزيز مبادئه. فقد امتاز النبي ﷺ ببلاغةٍ فائقة، استطاع من خلالها التأثير العميق في قلوب المسلمين من خلال كلمات قليلة تحمل معانٍ كبيرة. لقد كانت الخطبة النبوية أداةً فاعلة في نقل الرسالة الإسلامية بمختلف أبعادها، واستخدامه ﷺ للغة العربية الفصحى جعل منها أداة للتواصل بين كافة شرائح المجتمع، سواء كان المتلقي من المتعلمين أو البسطاء.

كما أن البحث كشف عن دور الأسلوب البلاغي الذي اتبعه النبي ﷺ في تيسير فهم الرسالة الإسلامية. فالنبي ﷺ كان يحسن اختيار مفرداته ويوازن بين القوة واللين في خطبه، مما جعلها سهلة الاستيعاب وذات تأثير عميق في النفوس. هذه القدرة على الجمع بين البساطة والبلاغة ساعدت في نشر الدعوة الإسلامية بسرعة أكبر وأدى إلى رسوخ المبادئ الإسلامية في القلوب والعقول.

لقد كانت الخطابة النبوية نموذجًا للأدب البلاغي الذي يعتمد على الاختصار والإيجاز دون الإخلال بالمعنى. فالنبي ﷺ كان يعرف كيف يُوجِّه رسالته بوضوح وبأسلوب مبسط، بحيث يظل أثر الكلمة طويلًا بعد انتهاء الخطبة. هذا الأسلوب البسيط والمتقن كان له دور كبير في سرعة استجابة الناس للدعوة واستيعابهم للمعاني التي كان ينقلها النبي ﷺ.

ختامًا، يمكننا أن نستنتج أن الخطابة النبوية كانت وسيلةً متميزة لنقل الرسالة الإسلامية وتحقيق أهدافها الدعوية. لقد كانت أسلوبًا بلاغيًا متكاملًا جمَع بين الحكمة والفصاحة، وكان لها دور كبير في تعزيز القيم الإسلامية وتوجيه الأمة نحو الخير والعدل.

المصادر والمراجع:

أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تح. شعيب الأرنؤوط ، عادل مرشد (بيروت: مؤسسة الرسالة، 2001).

سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصري، مسند أبي داود الطيالسي، تحقيق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، (القاهرة: دار هجر، 1999)

صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيكلدي، التنبيهات المجملة على المواضع المشكلة، تح. مرزوق بن هياس آل مرزوق الوهراني (المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، 1408).

عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، قوت المغتذي على جامع الترمذي، رسالة دكتوراه في جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين،: ناصر بن محمد بن حامد الغريبي، 1424.

عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني، المصنف، تح. حبيب الرحمن الأعظمي (بيروت: المكتب الإسلامي، 1403).

عبد الله بن محمد بن إبراهيم أبو بكر بن أبي شيبة، مسند ابن أبي شيبة، تح. عادل بن يوسف العزازي و أحمد بن فريد المزيدي (الرياض: دار الوطن، 1997).

عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان أبو بكر بن أبي شيبة, الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار (الرياض: مكتبة الرشد, 1409).

عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي، سر الفصاحة (بيروت: دار الكتب العلمية،1982)، 59؛ يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (بيروت: المكتبة العصرية، 1423).

مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي، الموطأ، تح. محمد مصطفى الأعظمي (أبو ظبي: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، 2004).

محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، صحيح البخاري، تح. محمد زهير بن ناصر الناصر (بيروت: دار طوق النجاة، مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، 1422).

محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك الترمذي، سنن الترمذي، تح. بشار عواد معروف (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1998).

محمد بن محمد ابن الوليد الفهري الطرطوشي المالكي، سراج الملوك (القاهرة: أوائل المطبوعات العربية،1872).

محمد خليل الخطيب، خطب الرسول صلى الله عليه وسلم (القاهرة: دار الفضيلة، 1373).

مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تح. محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت).

نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزاعي المروزي، كتاب الفتن، تح. سمير أمين الزهيري (القاهرة: مكتبة التوحيد، 1412).

نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان بن أبي بكر الهيثمي، بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، تح. حسين أحمد صالح الباكري (المدينة المنورة: مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، 1992).